تَـصـرَّمـتِ الدنيا فليس خُلودُ ... ومـا قد تـرى من بَهجةٍ سيبيدُ
لكل امـرئٍ منَّا من الموت مَنهَلٌ ... ولـيـس لـه إلا عـلـيـه ورودُ
ألم تر شيباً شاملاً يُنذِر البِلى ... وأنَّ الشباب الغَضَّ ليس يعودُ
سيأتيك ما أفنى القرونَ التي خلت ... فكن مستعدًّا فالفناء عتيدُ
أَسِيتُ على قاضي القضاة محمدٍ ... فـأَذْرَيـتُ دمعي والـفـؤاد عميدُ
وقلت: إذا ما الخَطبُ أشكلَ مَن لنا ... بـإيـضـاحـه يـومـاً وأنـت فقيدُ
وأقلقني مـوت الكسائي بعدَه ... وكـادت بي الأرض الفضاء تميدُ
فأذهلني عـن كـل عيش ولـذة ... وأرَّق عيني والـعـيـون هُـجـودُ
هـمـا عـالـمـانـا أَوديـا وتُـخُـرِّمـا ... ومـا لهما في الـعـالمـين نديدُ
فَحزْنيَ إن تَخطرْ على القلب خطرةٌ ... بذكرهما حـتى المـمـاتِ جديدُ

قال الذهبي[1]: قيل: إنَّ محمداً لما احتُضِر، قيل له: أتبكي مع العلم؟ قال: أرأيتَ إنْ أوقفني الله، وقال: يا محمد، ما أقدمكَ الرِّيَّ؟ الجهاد في سبيلي، أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا أقول؟.

قلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، تقول هذا وأنتَ أنتَ في علمك وصدقك وفقهك وإخلاصك، وقد علَّمت الناس وفقهتهم في دين الله عز وجل، فما نقول نحن اليوم، وما يقول علماءُ هذه الأيام ...

الله المستعان، ونعوذ به من الخذلان إنه سميع مجيب.

* * *

أما عن منهجي في عملي هذا فأوضحه فيما يلي :

١- مقابلة المطبوع على النسخ الخطية التي اعتمدتها وهما نسختان وسيأتي وصفهما مع ذكر فروق النسخ والترجيح بينها.

٢- ضبط النص وترقيمه وتفصيله.

٣- شرح الألفاظ اللغوية الغامضة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٩/١٣٦.

٤- تخريج الآثار من المصادر المتوافرة.

٥- دراسة أسانيد الكتاب والحكم عليها بما يناسبها من صحة وضعف وغيرها من الأحكام.

٦- عزو الآيات إلى سورها.

٧- وصل البلاغات والأقوال.

٨- المرسل حجة عند الحنفية فنقول فيه: مرسل رجاله ثقات أو غير ذلك.

٩- وضعت دائرة سوداء مطموسة قبل كل أثر رواه محمد بن الحسن عن غير أبي حنيفة.

١٠- أثبت على الهامش رقم نسخة الأصل في بداية كل صفحة.

١١- صنع الفهارس العلمية.

* * *

أما النسخ التي اعتمدتها في هذا العمل فهي:

١ ـ نسخة مصورة من المدينة المنورة تحت (١٩٤ حديث) عن طريق مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، وهي ممهورة بختم مكتبة عارف حكمت، وتاريخ نسخها (٧٥٥ هـ) وهي نسخة جيدة مضبوطة وكاملة ومقابلة ومصححة عن نسخة مصححة عن النسخة الأصل للإمام محمد، وعدد أوراقها (١٧٨) ورقة في كل ورقة لوحتان، في كل لوحة (١٥) سطراً، وعليها تصحيحاتُ مقابِلِها واسمه محمد كما أثبت ذلك في الصفحة (٨٢) من الأصل الخطي، وجاء في آخرها في الهامش: بلغ مقابلة جميعه من نسخة بنسخ قوام الدين رحمه الله في تاسع شهر رمضان [...]. وتاريخ نسخة الشيخ قوام الدين العاشر من جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وأربع مئة، وقوبلت نسخةٌ بنَسْخِ قوام الدين بنسخةِ الأصل للإمام محمد رحمه الله.

وعليها بعض السماعات والتملكات، لرضي الدين عبد الرافع بن الشيخ كريم الدين. وقد رمزنا لهذه النسخة بالأصل.

٢ ـ نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم (١٠٤ فقه)، عدد أوراقها (١٣٢) ورقة، في كل ورقة لوحتان، في كل لوحة (١٩) سطراً، وهي نسخة كاملة بخط نسخ مقروء، وهي مقابلة على نسخة لا تخلو من أخطاء، على الورقة الأولى تملكات للحاج إبراهيم باشا والي جدة، وحسين جوركي جمليان، وتاريخ نسخها (١١٣٠هـ) في مدينة الفيوم. وجاء في آخرها من كتب الفقير إليه تعالى حسين جوركي جمليان بن المرحوم عبد القادر جوركي بمدينة الفيوم عام (١١٣١هـ). وقد رمزنا لهذه النسخة بـ (ص).

٣ ـ نسخة مطبوعة في الهند نشرها الدكتور محمد عبد الرحمن غضنفر عن نسختين في المكتبة الآصفية في حيدر آباد في الهند، وعن أقدم نسخ الأستانة منسوخة سنة (٧٤٤هـ)، وقوبلت على نسخة في الموصل. وقد رمزنا لهذه الطبعة بـ (م) وفيها بعض السقوطات في الأسانيد، وكذلك بعض الآثار، وبعض الأخطاء المطبعية أشرنا إليها في مكانها.

٤ ـ وثمة نسخةٌ أخرى بدأ الأستاذ أبو الوفاء الأفغاني بشرحها ووصل بها إلى باب زيارة القبور، وتوفي رحمه الله دون أن يتمم الكتاب، فرحمه الله تعالى، وقد صدر عن دار الكتب العلمية في بيروت في مجلدين.

هذا وإنَّ لهذا الأستاذ الكبير فضلاً لا يُنكر، ويداً لا تُكفر في نشر بعض كتب المذهب الحنفي، حيث إنه نشر «آثار» أبي يوسف عن نسخة وحيدة ناقصة، وساهم في نشر كتاب «الحجة على أهل المدينة» للإمام محمد بن الحسن، وغيرها من الكتب مما لا يمكنني حصره في هذا المقام، فرحمه الله رحمة واسعة.

* * *

وبعد:

فإنَّ حكايتي مع كتاب «الآثار» للإمام محمد بن الحسن الشيباني تبدأُ من عام ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م حين كنت طالباً في السنةِ السادسةِ في معهد الفتح الإسلامي بدمشق، وكان لِزاماً على كلِّ طالب أن يقومَ بإعداد بحثٍ للتخرج تأليفاً أو تحقيقاً